منتديات الإمام الآجري

دعاء ليلة القدر

للشيخ :

محمد سعيد رسلان

- حفظه الله -

من إعداد وتفريغ :

أبو عبد الرحمن عقبة رماضنة

أبو أسامة وسيم قاسمي

الخطبة الأولىٰ :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران – 102]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء – 1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أما بعد :

فقد أخرج البخاري في صحيحه في سنده عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:‹ **ما أحد أصبر علىٰ أذىٰ يسمعه من الله قال يدعون له الولد وهو يعافيهم ويرزقهم** › ،

فأثبت في هذا الحديث صفة الصبر لله تبارك وتعالىٰ ، والله تبارك وتعالىٰ موصوف بكل كمال وبين ﷺ في هذا الحديث أن العفو عام وخاص ، كالرحمة وكالعبودية ، فالعبودية منها عام وهو ما يشمل الكائنات كلها فما من كائن ولا مخلوق إلا وهو عبد لله تبارك وتعالىٰ في إطار العبودية العامة حتىٰ إبليس ، فهو مربوب مقهور عبد مسخر لا يخرج عن مقتضىٰ العبودية العامة ، فكذلك كل بر وفاجر ، وكل طائع وعاص ، وكل مقبل ومدبر ، الكل عبيد لله تبارك وتعالىٰ في نطاق العبودية العامة ، وأما العبودية الخاصة

فهي لمن أقبل علىٰ الله تبارك وتعالىٰ فصرف العبادة لوجهه الكريم موحدا بذلك ربه تبارك وتعالىٰ مجانبا للشرك منافيا للبدعة بعمله ومعتقده ، فهذه هي العبودية الخاصة التي تكون لخواص أولياء الله تبارك وتعالىٰ ، من العباد المكرمين ، والرحمة كذلك عامة وخاصة فإن الله ، تبارك وتعالىٰ ، يرحم بالرحمة العامة الكافر الذي يكفر بالله تبارك وتعالىٰ ، يؤذي الله جل وعلىٰ ، بنسبة الولد إليه ، وكذلك يسب الله تبارك وتعالىٰ ، ويشتم الله جل وعلىٰ ، يسب الدهر ، يقول الله جل وعلىٰ : ﴿ **يؤذيني بن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار** ﴾ ، ومع ذلك يرحمهم الله تبارك وتعالىٰ بالرحمة العامة وقد أخبر النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم : ﴿ **أن الله سبحانه جعل الرحمة مئة جزء، استأثر لديه في السماء بتسعة وتسعين جزءا وجعل في الأرض جزءا واحدا من مئة جزء ، به يتراحم الناس والمخلوقات ، حتىٰ لا ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تؤذيه**﴾ ، وهي بهيمة عجماء لا عقل عندها ولا تمييز لديها ، ولكن من ذلك الجزء من مئة جزء من رحمة الله تبارك وتعالىٰ، ترفع حافرها عن ولدها رحمة به خشية أن تؤذيه ، كما أخبر النبي ﷺ فهذه الرحمة العامة تشمل الخلق كلهم ـ تشمل الكافر كما تشمل المؤمن ، تشمل البر كما تشمل العاصي والفاجر ، يرحمهم الله تبارك وتعالىٰ ، ويسخر لهم من المعقبات من بين أيديهم ومن خلفهم من يحفظهم من أمر الله ، أي من يحفظهم بأمر الله ، ولولا ذلك لتخطفتهم الشياطين ولحلت بهم الكرب العظام ونزلت بهم الكوارث الجسام وما بقي منهم أحد ، ولكن الله تبارك وتعالىٰ يرحم الكل بالرحمة العامة ، وأما رحمته الخاصة فهي لخواص أولياءه ، للعباد العاملين ، فإن الله تبارك وتعالىٰ يرحمهم رحمة خاصة ، وينزلهم دار السلام ويفيض عليهم سبحانه وتعالىٰ من مننه العظام ومن آلائه الجسام ويعلي في الجنات درجاتهم ، حتىٰ إنه تبارك وتعالىٰ يسأل أهل الجنة بعد أن يستقروا فيها : هل تريدون من شيء أزيدكم؟ ، فيقولون :و ماذا نريد وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا الجنة ومتعتنا برضوانك ، فيرفع الله تبارك وتعالىٰ الحجاب ، وحجابه النور ، وفي رواية في مسلم حجابه النار ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتِ وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه ، الله تبارك وتعالىٰ يرفع الحجاب حينئذ فما

يتمتعون بشيء أعظم من تمتعهم برؤية وجه الله الكريم ، فالرحمة عامة وخاصة والعبودية عامة وخاصة ، والعفو عام وخاص كما بين النبي ﷺ ، يَدَّعون لله تبارك وتعالىٰ الولد وهو يعافيهم بالعفو العام ، بالمعافاة العامة ، يرزقهم ، ويكلؤهم ، ويكسوهم ، ويغذوهم ، ولا يسلط عليهم ما يستأصلهم من الآفات ، وإنما يكلؤهم بحفظه العام ، وأما عفوه الخاص فهو لخواص أوليائه ، قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله : أرأيت إن علمت ليلة القدر أيَّ ليلة هي ماذا أقول؟ ، قال : ﴿ قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني ﴾ ، فاختار لها النبي ﷺ هذا الاسم العظيم من أسماء ربنا الكريم ، وهو العفو ، وفي العفو معنىٰ أزيد من الغفران ، ففي العفو معنًىٰ فوق المعنىٰ الذي هو في الغفور ، لأن في الغفر معنىٰ الستر ، وأما في العفو فمعنىٰ المحو ، فإذا عفا محا السيئات ، والله تبارك وتعالىٰ يعطي من عمل صالحا وبدل حسنا من بعد سوء ، يعطيه أمرا عظيما وفضلا كبيرا ، فيبدل الله تبارك وتعالىٰ لمن آمن وعمل صالحا ، وتاب إلىٰ الله متابا ، يبدل الله سيئاتهم حسنات ، يعف الله تبارك وتعالىٰ عما كان من الزلات فتمحىٰ محوا ، ثم إنه جلت قدرته يبدل تلك السيئات حسنات وهو العفو الكريم ، قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله : أرأيت إن علمت ليلة القدر أي ليلة هي :، لأن الله جلت قدرته جعل لها علامات ، وهي ليلة سمحة طلقة بلجة ، فيها هدوء وسكينة ، لأن الله جلت قدرته يجعل الملائكة متنزلة في الأرض في ليلة القدر أكثر من حصىٰ الأرض فيها ، ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ وقد جعلها الله رب العالمين ليلة مباركة ، ونص علىٰ ذلك في كتابه المجيد ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ فبين الله جلت قدرته ، أنها ليلة مباركة ، فيها ثبات للعطاء ، ودوام للشفاء ، شفاء الأنفس من كربها ، وشفاء الأفئدة من عللها ، تتنزل فيها الملائكة تملأ الأرض ، وتكون مع المؤمنين في مساجدهم وهم بين راكع وساجد ، وشاكر وحامد ، ومبتهل ومصلٍ علىٰ رسول الله ﷺ ، والملائكة أنصح الخلق للمؤمنين ، حملة العرش ومن حولهم يستغفرون للذين آمنوا ويطلبون لهم العفو من الله ربِّ العالمين ، حملة العرش هم من أعظم الملائكة خلقا يحملون العرش ، الذين يحملون العرش ومن حول العرش من الملائكة المقربين ، والعرش أعظم مخلوقات الله جل وعلا ،

هؤلاء يستغفرون للذين آمنوا ويطلبون لهم العفو من الله تبارك وتعالىٰ فما أعظمك يا ابن آدم لو كنت مؤمنا حتىٰ الملائكة الذين جعلهم الله تبارك وتعالىٰ في ذلك المقام ، حاملين لعرش الرحيم الرحمن ، ومن حولهم وحول العرش من الملائكة المقربين عند ربنا جل وعلا كلهم يستغفرون للذين آمنوا،ويطلبون العفو والمغفرة ورفع الدرجات عند ربنا جل وعلا ، النبي صلىٰ الله عليه وسلم اختار لعائشة في تلك الليلة هذا الاسم الشفيف من أسماء ربنا جل وعلا ، قال : ﴿ **قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** ﴾ ، فالله جلت قدرته يحب التجاوز ، الله رب العالمين لا يحب من العبد أن يستقصي بل يحب الله تبارك وتعالىٰ مكارم الأخلاق ، ويكره الله رب العالمين سفسافها لأنه تعالىٰ جواد كريم يحب الجَوَدَة ويحب الكُرَمَاء ، يحب معالي الأخلاق ويكره سَفْسَافها ، والسفساف هو الدنيء من كل شيء وما يتطاير من الرحىٰ من غبار الدقيق وما يكون من عثيار الطريق ، وغير ذلك من الهباء الذي لا قيمة له والذي لا يثبت علىٰ حال فالله رب العالمين ، يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها ، قال : ﴿ قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني ﴾ فتطلب محو ما كان من التقصير ، لا أحد يقصر في حق الله العلي الكبير حتىٰ كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا سلم من الصلاة قال : ﴿ أستغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله ﴾ ، وأخبر صلىٰ الله عليه وآله وسلم : أن من الملائكة خلقا خلقهم الله تبارك وتعالىٰ ، فهم لله ساجدون ، من الملائكة من هو ساجد واضع جبهته لله رب العالمين منذ خلقه الله إلىٰ أن يقيم الله تبارك وتعالىٰ الساعة ، فإذا بعثهم الله تبارك وتعالىٰ قالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، لأن الله تبارك وتعالىٰ لا يقادر قدره ولا يعرف قدر الله تبارك وتعالىٰ ، علىٰ الحقيقة إلا الأنبياء والمرسلون والأولياء الصالحون ، الذين هم المؤمنون المتقون فهؤلاء يجتهدون في عبادة الله تبارك وتعالىٰ ، كأنهم يرون ربهم ، سبحانه وتعالىٰ ، فإن لم يكن فإنهم يعبدونه كأنه يراهم ، وهو يراهم كما أخبر النبي ﷺ عن مقام الإحسان بدرجتيه ، فقال لها النبي ﷺ : ﴿ إذا علمت تلك الليلة فأختار لك هذا الدعاء ﴾ ، و النبي عندما سئل صلىٰ الله عليه وآله وسلم سأله عمرو بن العاص عن أحب الناس إليه قال : ﴿عائشة ﴾ ، قال فمن الرجال قال : ﴿ أبوها ﴾ ، فهذه أحب الناس إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله و سلم يختار لها هذا

الدعاء العظيم ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني ، و كان النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم إذا دخل رمضان يجتهد فيه ما لا يجتهد في سائر العام ،فإذا دخل العشر ، يعني العشر الأخير من شهر رمضان اجتهد ما لا يجتهد في سائر رمضان ، كما قالت عائشة رضي الله عنه ، وقالت : ﴿كان إذا دخل العشر أحيا ليله ، وأيقظ أهله وجد وشد المئزر ﷺ﴾الليل موات إلىٰ أن يحيا بعبادة رب الأرض والسماوات ، وكل شيء ليس فيه ذكر الله فهو ميت من الأموات ، أحيا ليله ، كأن الليل كان ميتا ، فأحياه الله تبارك وتعالىٰ بالذكر والاستغفار والصلاة و الدعاء والإنابة والخشوع والإخبات والخضوع ، كذلك يحيي الله تبارك وتعالىٰ الزمان كما يحيي الله تبارك وتعالىٰ به المكان ، فكل مكان فيه سنة رسول الله ﷺ ففيه الحياة الحقة بحسب اتباع المصطفىٰ المختار صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، يعم فيه الخير ويقل فيه الشر وربما اضمحل فلم يوجد له أثر ولا عين ، وكل ذلك لأن الله جعل الحياة الحقة في عبادته وفي طاعته في معرفته وفي الإنابة إليه والإقبال عليه ، فكان إذا دخل العشر أحيىٰ ليله وأيقظ أهله فما يدع من أحد مطيقا للقيام بالليل إلا أيقظه وأمره بأن ينال حظه من ذلك الخير العميم وكان النبي ﷺ يلتمس بذلك ليلة القدر التي أخبر الله تبارك وتعالىٰ عن بركتها الثابتة ،﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ فجعلها الله تبارك وتعالىٰ مباركة ، وهي في العشر الأواخر من الشهر الكريم المكرم شهر رمضان ، وهي في الأوتار أرجىٰ وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ ، إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : التمسوها في تاسعة تبقىٰ ، في سابعة تبقىٰ ، في خامسة تبقىٰ ، في ثالثة تبقىٰ فقال رحمه الله الوتر يكون علىٰ حسب ما مضىٰ فيكون ليلة احدىٰ وعشرين ، وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين ، فبين النبي ﷺ هذا المعنىٰ في هذا الحديث العظيم ولكن ماذا تقول إذا كان الشهر ثلاثين فإنها تكون في الأشفاع لأن ليلة الثاني والعشرين تكون في تاسعة تبقىٰ ، وكذلك ليلة الرابع والعشرين فإنها تكون لسابعة تبقىٰ ، وعليه فهي في الأشفاع كما هي في الأوتار أرجىٰ وأرجىٰ ، وهذا ما فهمه وفسر به حديث رسول الله ﷺ صاحبه الجليل أبو سعيد رضي الله تبارك وتعالىٰ عنه ففسر الحديث بهذا فتلتمس في الأشفاع كما تلتمس في الأوتار ، والعجب من أقوام إذا دخل عليهم الشهر ملؤوا المساجد وسَعَوا إلىٰ الصلاة ، وإذا مضىٰ بهم

الشهر في مسيره تخلفوا ، مع أن الله جلت قدرته جعل آخر كل زمان من يوم أوليلة أفضله ، فآخر يوم الجمعة هو أفضله لأن فيه ساعة الإجابة كما قال الرسول ﷺ : ﴿وآخر الليل أفضل الليل ، لأن الرب تبارك وتعالىٰ يتنزل في الثلث الأخير من الليل إلىٰ السماء الدنيا يقول ألا هل من مستغفر فأغفر له ، ألا هل من تائب فأتوب عليه ، ألا من طالب حاجة فأقضيها له ، حتىٰ يطلع الفجر﴾، وهو نزول حقيقي يليق بكماله وجماله وجلاله ، لايعلم كيفيته إلا الله ولم يسأل الأصحاب رضي الله عنهم عن كيفية النزول وإنما التفتوا إلىٰ المعنىٰ الذي أراد الرسول ﷺ فجعلوا الليل عامرا بالطاعة ومدوا إلىٰ السحر الأعلىٰ صلاتهم ، فلما كانوا فيه جلسوا للاستغفار ، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فجعل الله تبارك وتعالىٰ آخر كل زمان من يوم ، وليلة أفضله ، وأخفىٰ الله تبارك وتعالىٰ رضاه ورضوانه في طاعته ، وأخفىٰ الله رب العالمين سخطه ونقمته في معصيته ، وأخفىٰ الله تبارك وتعالىٰ ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان ،وجعل ذلك كذلك ليَجِدَّ الناس ويجتهدوا ، وقد صرح بذلك رسول الله ﷺ كما في حديث عبادة ، لما خرج النبي ﷺ ليخبرهم بتحديد عين ليلة القدر فتلاح فلان وفلان ، قال : ﴿فرفعت﴾، قال :﴿كنت خرجت لأخبركم بليلة القدر – يعني بتحديد عينها بحيث لا تشتبه ، بحيث لا يُعَيِّ الناس أنفسهم بعد في تطلبها وتلمسها لأنها ستكون محددة معينة بحيث لا يختلف عنها اثنان – فتلاح فلان وفلان ، قال فرفعت﴾ ، وعسىٰ أن يكون خيرا لكم ، لأنكم لو علمتم تحديد عينها بيقين لقصرتم في سائر الشهر في القيام وفي العبادة وفي التلاوة والذكر ثم قصدتم تلك الليلة من أجل أن تُحْيُوا ليلها ، ومن أجل أن تجتهدوا في إقامة ما فيها من ألوان العبادات ، وتقصرون في سائر رمضان ، وفي سائر العام من باب أولىٰ ، وعسىٰ أن يكون خيرا لكم ، فأخفىٰ الله تبارك وتعالىٰ رضوانه في طاعته ، فلا تدري ما يقبل الله رب العالمين منك ،وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا ، يكتب الله له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه ، وأخفىٰ الله رب العالمين سخطه في معصيته ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا ، يكتب الله تبارك وتعالىٰ عليه بها سخطه إلىٰ يوم يلقاه ، يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والأرض كما قال النبي المختار ﷺ ، فهذه الليلة كانت مطلبا للنبي ﷺ فاعتكف العشر الأوسط فقيل

له إنّ ما تطلب أمامك ، فاعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان ، وقال من كان متحريها فليتحراها في العشر الأواخر ، ومن كان معتكفا فليعتكف في العشر الأواخر، وكان النبي ﷺ يخص العشر بمزيد اهتمام وعناية وعبادة، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت :﴿ كان إذا دخل العشر أحيا ليله﴾ ، وفيه دلالة علىٰ أنه صلىٰ الله عليه وسلم كان يحيي كما صرحت كان يحيي الليل كله ، وهي رضي الله عنها قد ثبت عنها أن النبي ﷺ ما صلىٰ ليلة كاملة إلىٰ طلوع الفجر قط ، وهذا يمكن الجمع بينه وبين الحديث الآخر في إحياء الليل كله ، بأنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان يحيي الليل في العشر الأواخر بالقيام ، وبالتلاوة ومدارسة القرآن وبالذكر ، والإنابة والخشوع ، وكذلك بالبكاء بنثر النفس بين يدي خالقها وبارئها ، من أجل أن يصلحها وأن يهديها ، وذلك كله من ألوان العبادات ، كان يحرص عليه نبينا صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فكان إذا دخل العشر ، اجتهد ما لم يجتهد قبل ، في رمضان ولا في سائر العام ، كان إذا دخل العشر أحيا ليله وأيقظ أهله من أجل أن يأخذوا بحظهم ونصيبهم من الفضل العظيم والخير الجزيل ، والمسلم كذلك إيجابي في حركة حياته ، وفي دعوته إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ ، المسلم الحق أمَّارٌ بالمعروف نهَّاء عن المنكر لا يحب الخير لنفسه وحدها ، وإنما يحب الخير لنفسه ولإخوانه من المسلمين ، من أقاربه وغيرهم ، فكان النبي ﷺ إذا دخل العشر أحيا ليله وأيقظ أهله ، من كان مطيقا فليقم ، من أجل أن يتعبد لله تبارك وتعالىٰ ، فإنك لا تدري لعل الله جل وعلىٰ أن يقبل منك دعوة ولعله جل وعلىٰ أن يقبل منك سجودا ، ولعله أن ينظر إلىٰ قلبك في تلك الليلة ، فيعلم فيه الصلاح والإنابة فيرزقك خشوعا وخضوعا ، ويجعل لك إليه متابا ، متابا لا يتخلىٰ عنك بعده أبدا حتىٰ تكون ثابتا بالتوبة النصوح فلا تزل لك عن الصراط المستقيم قدم ولا يطوىٰ لك عن التشمير في السير إلىٰ الله رب العالمين علم ، وإنما تكون دائما وأبدا مقبلا علىٰ الله رب العالمين ، مدبرا عن كل ما ومن سواه جل وعلا ، كان نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم يلتمس تلك الليلة والله رب العالمين فخمها وعظمها ، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ وجعل الله تبارك وتعالىٰ القرآن متنزلا في ليلة القدر ، وليلة القدر في شهر رمضان وهي في العشر الأواخر منه ، وفي الأوتار أرجىٰ ، كما دلت علىٰ ذلك

نصوص السنة الثابتة الصحيحة فأنزل الله تبارك وتعالىٰ في تلك الليلة القرآن المجيد ، وجعل الله رب العالمين شأنها مفخما وأمرها معظما ، وما أدراك ما ليلة القدر ، فهذا الإستفهام للتهويل والتعظيم والتفخيم ، ومن أجل أن يشد الانتباه ويلفت النظر إلىٰ ما يأتي بعد ما أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ، من ألف شهر ليس في شهر منهن ليلة قدر ، وهذه الأمة أعمارها قصيرة كما قال نبينا صلىٰ الله عليه وسلم :﴿ أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين وقليل من يجاوز﴾، وكانت أعمار الأمم قبلنا طويلة فكان الصالح منهم يتعبد زمانا طويلا ، ويجاهد دهرا متطاولا ، وأما هذه الأمة فأعمارها قصيرة ومع ذلك جعل الله لها بركة غامرة ، وجعلها في نعمة شاملة ، فجعل لها ليلة من قامها إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن حكمة الله الجليل ، أنه يراعي ضعفنا ، لأنه هو الذي خلقنا ويعلم ما نحن عليه من ضعف القلوب والأرواح ومن ضعف الأجساد والأبدان فقال لنا نبينا الهُمَام ﷺ من قام مع الإمام حتىٰ ينصرف حسب له بقية ليلته ، فإذا قام المرء يصلي القيام في المسجد خلف إمامه فصلىٰ الإمام ما شاء الله أن يصلي قد يراعي أحوال الناس كما قال النبي ﷺ : ﴿ صل بصلاة أضعفهم﴾، فكأن الإمام حينئذ هو أضعف ما هو موجود ، بشرط عدم الإخلال بسنة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم وبإتمام الركوع والسجود وملاحظة أن صلاة الليل سميت قياما لأشرف جزء فيها وهو المقصود ، فسميت قياما فهو قيام الليل ، مع أنه ليس قياما مجردا ، بل فيه قيام وفيه ركوع وفيه جلوس وفيه سجود و مع ذلك سميت تلك الصلاة بأشرف جزء فيها ، لتلاوة آيات كتاب الله المجيد ، فإذا راعىٰ ذلك وقام خلفه المصلي يصلي لله ، ثم انصرف بعد أن انصرف الإمام من الصلاة ، فإنه تكتب له بقية ليلته قياما بين يدي الله ، ويحيي الليل بعد بتلاوة القرآن وبمدارسة آياته العظام ، وبالإقبال علىٰ الله تبارك وتعالىٰ ، مراجعا ما كان من حاله وأحواله ، حتىٰ إذا ما أصاب ليلة القدر ، وفيها تقدير ،

ومعلوم أن القضاء والقدر الإيمان به عند أهل السنة علىٰ أربع مراتب :

فأولىٰ من المراتب أن تؤمن بعلم الله المحيط. وأنه يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

وثانيها أي ثاني المراتب أن تؤمن بأن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وهذا التقدير علىٰ درجات أيضا فهذه المرتبة الثانية وهي مرتبة الكتابة ، الكتابة في اللوح المحفوظ جعلها الله تبارك و تعالىٰ أيضا علىٰ درجات ، فإن الله جلت قدرته جعل التقدير تقديرا أزليا ، وذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، لما أمر الله رب العالمين القلم أن يكتب مقادير الخلائق وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء ، جَفَّ القلم بما هو كائن ، وطويت الصحف ، وكل مختار ومريد وذو مشيئة ، جعلها الله تبارك وتعالىٰ تحت مشيئته ولا يظلم ربك أحدا ، فهذا تقدير أزلي ، وتقدير عمري كان في يوم الميثاق لأن الله أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ، ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا ، فشهدنا في عالم الذَّرِّ بأنه ربنا جل وعلا لا رب لنا سواه ، ثم يحيد عن هذا العهد بعد ذلك من يحيد ، فهذا تقدير عمري في يوم الميثاق ، وتقدير عمري في الرحم ، عندما يرسل الله الملك من أجل أن يكتب ما يتعلق بهذا الجنين في بطن أمه من ذكر أو أنثىٰ ، وما يتعلق بعمله وأجله ، ورزقه وما يكون من شقاوته وسعادته ، فهذا تقدير عمري في المرحلة الجنينية ثم جعل الله تبارك وتعالىٰ تقديرا حوليا في كل عام ، في ليلة القدر ، تكون أنت فيها قائما لله جل وعلا وتقدير حولي بنسخة من التقدير الأزلي في اللوح المحفوظ بما يكون في العام ، من ليلة القدر إلىٰ ليلة القدر ، من يموت ومن يولد ومن يصح ومن يمرض ومن يغتني ومن يفتقر ، ومن يعز ومن يذل ، ومن يؤتىٰ الملك ومن ينزع منه الملك ، ومن يحج ومن يعتمر ، من يرفعه الله ومن يخفضه ، كل ما يكون في العام ، في التقدير الحولي يكون في ليلة القدر ، بنسخة حولية مما هنالك في التقدير الأزلي في اللوح المحفوظ ، ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ ، مما يكون في العام كله إلىٰ ليلة القدر من قابل ، من يعطىٰ ومن يمنع (و يحرم) ومن يعز ومن يذل إلىٰ غير ذلك من تصاريف الأحوال في الكون ، يصرفه المليك العلام ، علىٰ مقتضىٰ علمه وحكمته بمشيئته وقدرته وهو علىٰ كل شيء قدير ، في ليلة القدر يكون هذا التقدير ، وهي ليلة ذات قدر ، نزل فيها كتاب ذو قدر ، علىٰ لسان رسول من رسل الله المقربين ، وهو أمين الوحي جبريل علىٰ لسان

رسول ذي قدر ، إلىٰ نبي ذي قدر وهو نبينا الصادق المصدوق الأمين ﷺ لأمة ذات قدر ، يقول النبي ﷺ لما دخل رمضان كما في حديث أنس رضي الله تبارك و تعالىٰ عنه وهو حديث حسن قال دخل رمضان ، فقال: النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، أيها الناس هذا شهر رمضان قد أضلكم وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ، ولو أن عبدا له مصلحة ، له حاجة عند رجل من أهل الأرض مما آتاه الله منصبا أو جاها أو مالا ، فإنه لا يستنكف أن يقف ببابه يوما بطوله ، وليلا طويلا ، ليقضي له حاجته ، والله رب العالمين لا يريد منك ذلك وإنما يريد منك إقبالا بقلبك عليه ، وطلبا بتوجه وصدق إليه والله رب العالمين يحاسب الناس علىٰ ما أضمروا وأكنوا ، ويؤتيهم من التوفيق علىٰ حسب نياتهم فمن أخلص لله ، فإن الله رب العالمين يرفع درجته ويوَصِّله إلىٰ جنته في دار الخلد ، إذا أخلص العبد لله رب العالمين ، كان سابقا ، وأما إذا وقع في الرياء أو النفاق أو السمعة ، فقد أنزل بنفسه المصائب كلها ، النبي ﷺ رغب في هذه الليلة وحض عليها ، وكان ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من شهر رمضان اجتهادا عظيما ، في العشر الاعتكاف ، و في الاعتكاف خلوة بين العبد وربه تبارك وتعالىٰ ، بعيدا عن مواضعات الحياة مع الإقبال علىٰ الله لتهذيب النفس وتصفية الضمير وتنقية الروح ، من أجل أن يراجع المرء نفسه مقبلا علىٰ ربه ومولاه ، معترفا بذنبه وخطاياه ، سائلا العفو ، بمحو الذنب وعدم المؤاخذة عليه ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني ، ففيه اعتراف بقدرته تبارك وتعالىٰ ، وبعفوه جل وعلا ، وفيه اعتراف برؤية النفس لذنبها ، وبإقبالها علىٰ شأنها ، فاعف عني ، والعفو لا يكون إلا عن ذنب وخطيئة والله رب العالمين إذا وكلنا إلىٰ أنفسنا وكلنا إلىٰ ذنب وخطيئة ووكلنا إلىٰ ضعف وعورة ، فنسأله جلت قدرته وتقدست أسمائه أن لا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين ولا أقل منها إنه علىٰ كل شيء قدير ، عباد الله إن الله رب العالمين جعل هذا الموسم من مواسم الطاعات ، مبذولا فيه الخيرات ، مغفورا فيه السيئات ، فمن أقبل علىٰ الله آتاه ، من أتىٰ إلىٰ ربه ماشيا أتىٰ إليه هرولة ، ومن تقرب إليه شبرا تقرب الله إليه ذراعا، ومن تقرب إلىٰ الله ذراعا ، تقرب الله إليه باعا ، ومن ذكر ربه في نفسه ، ذكره ربه في نفسه ، ومن ذكر ربه في ملأ ذكره الله جل وعلا في ملأ خير منه ، فالبداءة بيديك فأقبل أنت ، ولن تقبل

حتىٰ يوفقك ، فاسأل الله التوفيق واسأل الله الهداية ، وغَيِّر ما بك ، حتىٰ يغيرك الله رب العالمين ويغير ما بك ، غَيِّر أنت ما بنفسك ، حتىٰ يغير الله رب العالمين ما بك ، من فقر إلىٰ غنىٰ ومن حاجة و عوز إلىٰ استغناء عن الخلق كلهم من إدبار وتثبيط أمثال الحسنات ، إلىٰ همة عالية وإقبال علىٰ فعل الطاعات ، من مذلة حاضرة وذلٍ باد ، إلىٰ عز سابق ومعزة باهرة ، في ديانة قاهرة باتباع ربنا وسنة نبينا ﷺ ، باتباع كتابه جل وعلا وباتباع سنة نبيه ﷺ ألا إن الأمر قريب من تاب تاب الله عليه ، ومن أناب إلىٰ ربه تلقاه ربه ، فإنه من جاء ربَّه تبارك وتعالىٰ تَلَقَّاه ربُّه من بعيد ، ومن ابتعد ناداه ربه تبارك وتعالىٰ ليؤوب إليه ، والله يفرح بتوبة عبده فرحا عظيما ، ضرب النبي صلىٰ الله عليه وسلم له مثالا وجعله معلوما ، كالرجل معه ناقته يخبط بها في أجواز البيداء فضلت عنه وتاهت في فلوات الصحراء فأخذ يبحث عنها فلم يجدها حتىٰ إذا أيس أوىٰ إلىٰ ظل شجرة فاضطجع منتظرا الموت وقد تحكم فيه يأسه وأطبق عليه همه ، وشمله كربه فاستسلم فنام ، وضع يده علىٰ ساعده في ظل شجرة ، وقد أيس من ناقته تحمله وعليها طعامه وشرابه وزاده وعتاده وصار مُنْبَتًّا منقطعا به في أجواز الصحراء حيث الوحوش الساربة والوحشة القائمة والليل البهيم ، والنعمة التي يستطار لها لب الحليم ، حتىٰ إذا أيس من النجاة فنام ، وجاءت هدأة من منام فاستيقظ فإذا هي هنالك ، إذا هي قائمة علىٰ رأسه عليها زاده وطعامه وشرابه ، حتىٰ إنه من شدة الفرح ليخطئ ، فيقول اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في تفسير ذلك وبيانه ، أخطأ من شدة الفرح ، صار الفرح متكالبا علىٰ حسه وضميره وعقله حتىٰ إنه لا يدري ما يخرج من رأسه فيخاطب ربه ، رب العالمين هو ، فكيف يخاطب بهذا الكلام ، فيقول ربي أنت عبدي وأنا ربك ، يخاطب ربنا تبارك وتعالىٰ بهذا الخطاب ، أخطأ من شدة الفرح ، فلَلَّهُ أفرح بتوبة عبده من هذا بناقته ، براحلته ، صفة الفرح لله رب العالمين ثابتة بهذا الحديث وأخواته ، ثابتة لله رب العالمين ، والله أفرح بتوبة عبده المؤمن ، إذا تورط في الذنب ثم أقلع وندم وعزم وتاب ، من هذا براحلته ، فالأمر قريب ، إذا غَيِّر أنت حتىٰ يغير ما بك ، نسأل الله رب العالمين بأسمائه الحسنىٰ وصفاته المثلىٰ أن يرزقنا توبة نصوحا لا نعصيه من بعدها أبدا ، إنه علىٰ كل شيء قدير وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله

وأصحابه أجمعين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو يتولىٰ الصالحين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلىٰ يوم الدين ، أما بعد :

فإن هذا الدين العظيم الذي أنعم به علينا ربنا تبارك وتعالىٰ وأكرمنا به ، ورفع به قدرنا وأعزنا وشرَّفنا باتباع نبيه ﷺ ، هذا الدين العظيم لا يقتصر المتمسك به علىٰ نفسه ، ولا يتوقف عند حدود ذاته ، ليس منا من بات شبعان وجاره جائع ، وهو يعلم ، وبين النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه من كان عنده فضل زاد – والفضل الزيادة في هذا الحديث – فليعد به ، فليوصله ، فليعطه ، فليَجُد به ، علىٰ من لا زاد له ، من كان عنده فضل ظهر فليعد به علىٰ من لا ظهر له ، فمازال يعدد من أنواع الفضل ، قال راوي الحديث حتىٰ ظننا أنه لا حق لأحد منا في الفضل ، ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم دين تكافل ، إذا كان يوم بهجة ، فالبهجة مبذولة للجميع ، إذا كان يوم سرور فالسرور فيه شامل محيط بحيث لا تبقىٰ علىٰ الخد دمعة ، ولا ترقأ عبرة في مُقْلَة ، وإنما الناس في فرحة بنعمة الله يكبرون الله علىٰ ما هداهم ، وعلىٰ ما أنعم عليه بهم ، يكبرون الله عليه في يوم العيد علىٰ ما هداهم إذ بلغهم رمضان ووفقهم للقيام والصيام ، وأنعم عليهم بتلاوة وذكر الرحيم الرحمن ، ثم جاءهم يومٌ يفرحون فيه بعَقِبِ طاعة فرضها الله رب العالمين عليهم فرضا ، لم يجعل في هذا اليوم ربنا تبارك وتعالىٰ في الأمة المسلمة من محروم ، ففرض النبي صلىٰ الله عليه وسلم صدقة الفطر ، من

رمضان صاعا من طعام ، علىٰ كل صغير وكبير ، وذكر و أنثىٰ ، وحر وعبد ، يكون الطعام مبذولا في يوم العيد ، فلا يحتاج فقير ، لا يتسول أحد ولا يتكفف الناس أعطوه أو منعوه ، بل يصل إليهم حقهم حيث كانوا ، فمن كان محتاجا فواجب علىٰ كل مسلم هذه الفريضة التي فرضها الله علىٰ لسان رسوله وهي الفطرة ، صدقةُ وزكاة الفطر من رمضان وحددها بصاع من طعام بغالب قوت البلد ما يكون من قوتهم غالبا ، فيخرج عن كل ذكر وأنثىٰ وعن كل كبير وصغير وحر وعبد ، يُخْرَجُ صاع من طعام في وقت الفضيلة ، بعد صلاة الفجر من يوم العيد إلىٰ صلاة العيد ، فهذا وقت الفضيلة للإِغْنَاءِ للفقراء والمساكين والمحتاجين في يوم العيد ، وفي وقت وجوب بغروب الشمس من ليلة العيد ، تجب حينئذ ، وهذا مهم ، معرفة وقت الوجوب مهم ، فإن الحَمْلَ لا يجب أن يخرج عليه زكاة الفطر إذا لم يوضع مستفرغا من الرحم قبل غروب الشمس من ليلة العيد وأما إذا وضع بعدها ، فواجب إخراج زكاة الفطر عنه ، كذلك من مات قبل غروب الشمس من يوم العيد فذلك كذلك . فجعل الله رب العالمين زكاة الفطر طُهْرَة للصائم ، من الرفث واللغو ، وطُعْمَة للمساكين لإغمائهم عن ذل السؤال في يوم العيد ، فهذا الدين ليست فيه طَبَقِيَّة ، المال مال الله وهو بأيدي خلق الله ، ليعان به عيال الله في أرض الله ، والزكاة المفروضة في الأموال ، فريضة ليس لأحد في إخراجها منة ولا فضل ، وإنما يخرج ما أوجب الله عليه إن كان مسلما ، فهذا حق الفقير في ماله ، ليس له عليه فيه منةٌ ، وليس عليه فيه من فضل وإنما هو واجب عليه أوجبه الله في ماله حقا للفقير والمحروم يتساوىٰ الناس في حد الكفاية ، بحيث يبقىٰ المجتمع المسلم متماسكا متساندا متعاضدا ، فلا تمثل لقمة العيش خِطَامَ ذُلٍّ يقاد به المرء ، ليتورط أقوام في بيع الشرف ، وليتورط أقوام في خيانة الدين والوطن ، إنما جعل الله رب العالمين لقمة العيش مبذولة حتىٰ

للحيوانات ، فإن امرأة حبست هرة ، لا هي بالتي أطعمتها ولا هي بالتي أطلقتها حتىٰ تأكل من خشاش الأرض ، حتىٰ ماتت جوعا ، فدخلت فيها النار ، لقمة العيش مبذولة بالكرامة ، فالكرامة إِدَامُها في يوم العيد ، وبين النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، أن زكاة الفطر تكون صاعا من طعام ، فلا يجزئ أن تكون مالا ولا قيمة ، ولا ثيابا ولا أحذية ولا ما أشبه من تلك الأمور وإنما هي طعام ، طهرة للصائم ، من اللغو والرفث ، يطهره الله رب العالمين ، مما وقع وبدر ، ومما ندَّ وشذ ومما تورط فيه تورطا ، يطهره الله رب العالمين من ذلك ، من لغوه و رفثه ، وهي طعمة للمساكين لإغنائهم ، عن ذل السؤال في يوم العيد ، لتكون البهجة شاملة والسعادة حاضرة ، حتىٰ إنَّ الرسول ﷺ يأمره بإخراج العواتق والحيض في يوم العيد ، يَكُنَّ في المصلىٰ ، يعتزلن المصلىٰ ، ويعتزلن الصلاة ، ويَكُنَّ خلف الناس يشهدن الخير ودعوة الخير ودعوة المسلمين ، تخرج المرأة الحائض في حيضها ، لتشهد الناس في يوم العيد مُكَبِّرَةً في سرها ، وتعتزل المصلىٰ ، وتشهد الخير وجماعة المسلمين ، أمة واحدة بقلب واحد ينبض بلا إله إلا الله ، ولسان واحد يذكر الله ، بجسد واحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الأعضاء بالسهر والحمىٰ ، تُخرج هذه الزكاة ، زكاة الفطر ، وجوبا وذلك بغروب الشمس من ليلة العيد ، ووقت الفضيلة بعد صلاة الصبح من يوم العيد وقبل صلاة العيد فإن أخرت عن الصلاة ، فهي صدقة من الصدقات ، وحاق بالمؤخر الإثم لأنه فرط ، وقصر ، وتوانىٰ وتكاسل و لم يتبع سنة رسول الله ، ولم يسمع ولم يطع لأبي القاسم عليه الصلاة والسلام ، وأما الوقت الذي يمكن أن تُخْرَجَ فيه دون ذلك ، هو ذلك الوقت الذي يكون قبل العيد بيوم أو يومين ، كما فعل بعض الصحابة ، ومنهم عبد الله بن عمر ، فإنه كان يخرج الفطرة – زكاة الفطر – من رمضان قبل العيد بيوم أو يومين ، قد يكون ذلك كذلك أنفع

للفقير الذي يعطىٰ الطعام ، ليعده في يوم العيد في يوم البهجة في يوم التَّكْبِير للعزيز الكبير ، علىٰ ما هَدىٰ من الخير وأرشد إليه من الهُدىٰ المستقيم ، يُخرج الجميع إلىٰ المصلىٰ ، تقول أم عطية : المرأة لا تجد ثوبا فماذا تصنع ، فليس معنىٰ أنها لا تجد ثوبا أنها تكون في البيت عارية متجردة ، ولكن لا تجد ثوبا تتوفر فيه شروط الحجاب الشرعي ، بحيث يكون فضفاضا وصابغا ، ولايكون زينة في نفسه ولا يشبه ثياب الرجال إلىٰ غير ذلك من شروط الحجاب للمرأة ، التي تبرج حجابها ، ولا تتوب ولا تريد أن تتوب إلىٰ ربها ، يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليَحْطِمَنَّكُم الفساق بأرجلهم ، يا أيها النمل ، أيتها النسوة ادخلن مساكنكن ، والْزَمْنَ بيوتكن وكن في خدوركن ، وفي يوم العيد اخرجن ، يخرجن يشهدن الخير وجماعة المسلمين ، الواحدة منها لا تجد ثوبا، قال: فلتعطها أختها من ثيابها، ﷺ ، هذا التآلف والتآزر والتآلف مفقود بين المسلمين، لأن الدين لم يتَجَذَّر في قلوبنا كما ينبغي ، والحكم بما أنزل الله جلت قدرته لا يشمل من كان علىٰ رأس السلطة وحده وإنما هو لي ولك ، فكل مخالفة خالفتها لم تحكم فيها بما أنزل الله ، الرجل الذي تَتَهَتَّكُ بناته ونساءه تحت عينه وبمعرفته وبعلمه وبإنفاقه ، هل هذا حَكَمَ فيهن بغير ما أنزل الله ؟، وقد أمره الله رب العالمين ، بالقيام عليهن ، سترا لهن وحياطة لجمادهن وتعليما لهن دين ربهن ، فإذا لم يفعل فقد حكم بغير ما أنزل الله ، الذي لا يخرج زكاته وقد أمره الله بإخراجها ، لم يحكم بما أنزل الله ، فمن الخَطَلِ أن يعلق ذلك علىٰ رأس من كان من السلطة وإنما هو من الجميع ، الكل ينبغي عليه أن يلتزم دين الله ، إن فعلنا فلا مجتمع علىٰ ظهر الأرض أسعد من المجتمع المسلم ، إسلاما صحيحا ، بعقيدة صحيحة ثابتة وإنابة ظاهرة باقية واتباع كامل شامل لرسول الله ﷺ ، ليس فيهم المحتاج ، كان الواحد منهم ، إذا بكىٰ ، بكىٰ أخوه ، إذا فرغ

الباكي الأول من بكاؤه أقبل عليه أخوه فيقول ما يبكيك ، فيقول أنت ما يبكيك فيقول وجدتك تبكي فلم أملك عبرتي فبكيت ، أويجمل بي أن تكون متألما ولا أتألم ، أهذه أخوة؟ أهذا دين؟ أن تكون محتاجا وأنا قادر فتضل علىٰ عوزك وفي فاقتك وحاجتك أهذا تطبيق التعاليم ، أهذا ما جاء به النبي الكريم ، أهذا هو جادة الصراط المستقيم ، أي مجتمع هذا ، المجتمع المسلم الحق لا تجد فيه محتاجا ولا أرملة تشكو غير فَقْدِ سواد زوجها وأما حاجاتها فمكفولة كحال حياته وربما أعلىٰ وأجل ، فكانوا إذا مات عائلهم ، لا يفقدون منه إلا شخصه وسواده ، وأما قيامه بمصالحهم فعلىٰ أتم ما يكون لو عرفنا حقيقة الإسلام الحقيق بالإتباع ، كما جاء به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، لعشنا عيشة الحياة الحقة ، في ظل الإسلام المجيد ، باتباع سنة النبي الرشيد صلىٰ الله عليه وسلم ، وإنما نجد من ذلك في حِسِّنَا وفي ضميرنا علىٰ قدر ما نتمسك بتعاليم ربنا وما نتمسك بسنة نبينا ﷺ .

عباد الله إن التوبة إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ هي المنزلة التي لا تفارق العبد في سيره إلىٰ الله من بدايته إلىٰ نهايته ، من مبتدئ ومنته وما بين ذلك فمقام العبودية لله يشمله ، ومقام التوبة لله يحوقه ، فهو تائب لله تبارك وتعالىٰ دائما وأبدا ونبينا ﷺ وهو من هو في طاعة ربه وصدق يقينه وعلو مقامه يقول : " يا أيها الناس استغفروا ربكم وتوبوا إليه فإني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة " ، كنا نعد للنبي صلىٰ الله عليه وسلم في المجلس الواحد مئة مرة ، رب اغفر لي وتب علي إنك أنت الغفور الرحيم ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فما أحرانا بأن نتوب في آخر الشهر إن كنا قد تبنا في أوله ، فمقام التوبة لا ينقطع عن العبد ، ولا ينقطع عنه العبد في سلوكه إلىٰ ربه ، فالمخلص فيها توبة لله وأَوْبَةً إلىٰ الله بمعرفة العبد قدره ومعرفة مقام ربه ، وإقباله علىٰ من خلقه ، فسَوّاه وعَدَلَه فبَرَاه وأعطاه ولم يحرمه وسدده ولم يخذله

فلنتب إلىٰ الله فلنعرف قدر أنفسنا من نكون ، وما نكون ، وأولنا ما تعلمون ونصير إلىٰ ما ننتهي إليه ، وبين ذلك نحمل في بطوننا ما هو معلوم من نكون وما نكون ، والله إنه لو لم يكن من الشرف إلا أن أَذِن لنا أن نقف بين يديه ، وفي قلوبنا وأرواحنا ما فيها، وفي بطوننا ما تحتويها ، لولا أنه أذن لنا بذلك وشرفنا به ، لكنا قطعنا الطمع عن الوصول إليه ، فكيف وهو يحب منا ذلك فلنتب إليه مخلصين له الدين ، حنفاء مسلمين ، مقبلين علىٰ رب العالمين ، مدمنين لذكر الله جل وعلا ، لا يزال لسانك رطبا بذكر الله فلنتغير حتىٰ يغير ، إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغير ما بأنفسهم ، فلنبدأ بأنفسنا وبمن نعول ، ولننشر الخير والهداية في الأرجاء ، داعين إلىٰ الله علىٰ بصيرة ، علىٰ منهاج النبوة ، فلنصحح العقيدة ، ولننف البدعة عن الاعتقاد والعمل ، ولنقبل علىٰ الله نادمين علىٰ ما أسلفنا من الذنوب والخطايا ، والندم توبة تكوي الضلوع وتسعر بلهيبها متأججة حنايا القلوب في صدورها ، فلنتب إلىٰ الله مخلصين له الدين ، نادمين عازمين ، عازمين علىٰ أن لا نعود إلىٰ ذنب أبدا ، رادين المظالم إلىٰ أربابها ولنحفظ ألسنتنا من الفحش وكل سوء ولنحفظ قلوبنا وضمائرنا من غيبة السر ، بسوء الظن في المسلمين ، فما أعظم حرمة المسلم عند الله ، حرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة ، لو نقضت بنيان المسلم ليساوي إثما عند الله أن تنقض الكعبة حجرا حجرا ، فما أعظم حرمة المسلم عند الله ، فلنمسك ألستنا عن المسلمين ، ولنصف ضمائرنا من تلك الغيبة ، التي هي غيبة السر بسوء الظن في المسلمين ، ولنحرص عليها فلنحطهم بالرعاية والمحبة ، وبذل النصح لهم ، والصبر علىٰ ما يتأتىٰ من بوادر غضبه ن وفلتات ألسنتهم ، فكذا الناس وقد آذوا قبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وسعوا جاهدين في كل ضر يحيق به وحفظه الله ، ورأىٰ ما رأىٰ من ثقيف حتىٰ إنه لم يقوىٰ علىٰ القيام علىٰ قدميه علىٰ يديه

ورجليه حتىٰ كان في ظل حائط لعُتْبَة وشَيْبَة وَلَدَيْ ربيعة ، ثم مضىٰ لا يستفيق مضىً علىٰ وجهه فما استفاق إلا بقرن الثعالب ، فإذا جبريل يناديه يا محمد إن ربك قد سمع ما قال لك قومك وعلم ما كان وقد أرسل لك ملك الجبال وجعله طوع أمرك فإن شئت أن يطبق عليهم الأخشبين أطبقهما ، فقال لا ولكن أَسْتَأْنِي بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله ، وقد كان ، فلنصبر علىٰ بوادر الغضب من المسلمين ، فللمسلم حرمة وهو صاحب عَشَمٍ في الدعاة إلىٰ الله و في طلاب العلم فلا تجد ما عنده من سوء مبذولا إلا لهم ، ولا مصبوبا إلا علىٰ رؤوسهم وإنه ليجبن أمام أذل وأحقر أهل الأرض ولا يتطاول إلا علىٰ رب الأرض والسماوات ، فلا عليك ، فلتصبر ، ولتحلم ، قدم النصح خالصا ومخلصا والله يتولاك ويرعاك ، نتوب إلىٰ الله قبل أن ينقطع أوان التوبة علىٰ المستوىٰ الفردي ببلوغ الروح الحلقوم ، فنندم ولات حين مندمي ، حينئذ لا تقبل توبة ، ولا يقبل من عبد عدل ولا صرف ، ولا تنفعه بعد ذلك شفاعة ، نسأل الله السلامة والعافية ، فلنتب قبل أن تخرج الشمس من مغربها ، ولنعلم أن هذا الشهر وقد لا يعود ونحن في الحياة ، وقد يقيم الله الساعة والله علىٰ كل شيء قدير ولكن قد يعود ولا يجدنا ، يجدنا تحت أطباق الثرىٰ ، فالآن الآن ، شمر عن ساق العزم كما كان يفعل رسول الله ، جد وشد المئزر ، جادا مجتهدا ذا عزم ، واعْتَزَل النساء مقبلا علىٰ الله داعيا إلىٰ الله متبتلا إلىٰ ربه ومولاه ، فلنحرص علىٰ الفرصة قبل فواتها فإنها إذا مضت فلن تعود ، حينئذ لن يجد المرء في يديه إلا قبضة من ذباب ، إن وجد ، نسأل الله أن لا يخيب فيه رجاءنا ، اللهم إنا نعوذ بك من خيبة الرجاء ، وشماتة الأعداء ، نعوذ بك من تحول عافيتك ، ومن زوال نعمتك ومن فجاءة نقمتك اللهم أحسن لنا الختام وأَعِذْنَا من جميع سخطك ، يا رب العالمين ـ ويا أكرم الأكرمين ، ويا ذا القوة المتين افتح علينا فتوح العارفين

بحكمتك وانشر علينا رحمتك ، وتغمدنا بسكينتك يا رب العالمين واجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله ، إنك علىٰ كل شيء قدير وصلىٰ الله وسلم علىٰ البشير النذير محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين .